

ومذورة لفشل فظيم، ومنتسبين إلى سلالة هيجها الرخص السريع إلى الأشياء في وضعها الأخير، أي الموت. لذلك، كل الأسئلة تبقى معلقة ولا جدوى من طرحها. وكما قال الشاعر الفرنسي روني شار عن هذا النوع الإرادي للموت: «ليس الموت سابقاً ولا لاحقاً، إنه إلى جانبنا حاذق وتافه»

إعداد وتقديم سعيد الباز

يمكن تصنيفها ضمن أدب الملعونين مع درجات مختلفة ومتفاوتة. قد تصدق على البعض بشكل كامل أو جزئي. لكن الجامع المشترك بينهما هو إنجاز فعل الانتحار لعدة أسباب مدركة أو مازالت شديدة الالتباس. هنا نقدم حوري الحسين مسرحياً، وكريم حوماري شاعراً وسعيد الفاضلي كاتب قصة... كلهم كانوا انتحاريين من أجل الحياة مغايرين ومخترطين في معركة يأنسها

ليت العقارب معطلة

الموقف التراجيدي للكاتب المغربي والشاعر تحديداً في وجه الإقصاء والتهميش، ليس من قبل المؤسسات الثقافية، بل حتى من قبل المجتمع. لقد صار فعل الكتابة المبدعة الخارجة عن السائد والمألوف، فعلاً خطيراً لا يتهدد سوى مبدعه. قال عبد القادر الحوافي: «جائم/ بثقل فقري/ على صدر الحياة» ملخصاً معاناته الاجتماعية والوجودية. وبإحساسه الفجائي بالحياة والمصير، لم نلتفت إلى صوته بمزق أفقنا الشعري: «الساعات جنازات/ ليت العقارب معطلة»، والكثير من شذراته الخاطفة لينتهي بهذه الجملة في رسالته الأخيرة: «أخفقت في الشعر والكتابة والرسم، ولم أوفق حتى في حماقاتي الجميلة في حضن الحياة. (...) وأمام كل الإخفاقات التي واجهتني في الحياة ساقف اليوم قوياً في وجه الموت... وداعاً». مات عبد القادر الشاب المرهف الإحساس الذي لم يؤمن إلا بجنون الشعر. عاش مثالماً يحتضن كتبه وأوراقه، يرعى وحده ظل نخلة في صحراء يدعوها الوطن. مات هو الآخر في غرفة فندق في مدينة سيدي بنور المغربية، بعيداً عن مدينته بمئات الكيلومترات، تاركاً رسالة مطولة معترفاً للجميع عن مجيئه الخاطف إلى هذا العالم، وحتى لرجال الشرطة مختصراً عليهم عناء البحث وأن الأمر يتعلق بانتحار شاعر.

عبد القادر شاعر ذو نبذة قوية يتجه دون موارد إلى أقصى ما يمكن أن يمنحه الصوت الشعري من مساحة للتعبير، خذلقه قسوة الواقع ومرارته... شاعر مغربي لم يملك ما يحمي به نفسه من كوارث الحياة... مساحة الرفض كانت لديه كبيرة لكن المسافة كانت أمامه تتقلص يوماً بعد يوم في اتجاه جدار الموت، هو الذي ظل يردد في قراءاته الشعرية:

يجب

أن تقول لا

حيث تقول نعم

كي لا تصحو على وطن من ندم.

■ ■ ■

شذرات

1- إصرار

جائم

بكل ثقل فقري

على صدر الحياة.

■ ■ ■

2- الشاعر

يسوي

أوتار أضلعه

ليندلق الخلود...

■ ■ ■

3- طلك

أنقب

في الصحراء عن ظل نخلة

أدعوه وطن..

■ ■ ■

4- امنية

الساعات

مشاريع جنازات.....

ليت العقارب معطلة

منتحراً، ولينتشر الخبر الصاعق والدرامي بين أحبائه وأصدقائه. لذلك يمكن أن نتساءل مع الروائي المغربي حسن رياض الذي حاول تفسير هذا الغياب المأساوي: «هل شعر سعيد الفاضلي في لحظة ما وهو يسير باتجاه تجربة فريدة، إن لم أقل نحو نضج فني أرقى، أنه على موعد مع الموت تاركاً حرقرة البياض وسواد الأسئلة، ابتسامته المقتضبة، صمته البليغ وهدوءه النادر».

هنا نموذج من قصصه لعلمنا نعيد له بعض الذكرى بعدما جرفه التسيان إلى حد أننا بحثنا عن صورة شخصية له فلم نعثر عليها:

■ ■ ■

الجو قائظ والرطوبة خانقة والسراب يمتطي متن الإسفلت متالئاً كثوب شفاف. لا هناك، على الرصيف الأيسر من هذا الشارع الممتد الموحش، هناك... يبدو رجل يمشي فريداً شارداً ذهن. على نفس الرصيف، أعني الرصيف الأيسر، خلف الرجل أعني الرجل الشارد الذهن، على بعد مسافة محترمة نسبياً، مع استحضار محترمي هذه الأقسام، هناك يبدو كلب يمشي فريداً يشغله لهائه عفا حوله.

رفع الرجل عينيه إلى السماء ماسحاً جبينه ثم نظر إلى الرصيف الأيمن هنا حيث الأشجار الوارفة الظليلة تتعانق على طول الشارع. ردد بصره بين الرصيفين، فتنبه إلى أنه يمضي على الرصيف الخالي من الأشجار. قرّر أن يعبر إلى الرصيف ذي الأشجار، أعني الرصيف الأيمن، انقضاء لأشعة الشمس الأفحة. بدأ العبور بتثاقل، وبسبب شروده أو لوقع الشمس على رأسه، أو لتفكيره في شيء أو أشياء لا ندرىها، أو بسبب ذلك جميعاً، وكما يحدث في مثل تلك الحالات المتهورة التي اعتدنا على رؤيتها في حملات الوقاية من حوادث السير، وخصوصاً منها ما كان للتحذير من الإفراط في السرعة، صدمته سيارة مرقت كالسهم، بل إنها ازدادت سرعة بعد صدم الرجل ومضت قدماً لا تلوي على شيء. سقط الرجل أرضاً وبقيت جثته ملقاة وسط الطريق الموحش والشمس ترسل عليها أشعتها الأفحة غير عابئة بما جرى. وبخلافها، توقّف الكلب لحظة قصيرة لسماعه ضجة الفرملة القاسية. كما توقّف لنفس اللحظة القصيرة عن اللهاث، تتبعت عيناه مصدر الضجة ومشى مقترباً من الجثة، في مهل حذر، اشتتمها بلا مبالاة كلبية كبيرة، ثم عبر في هدوء إلى الرصيف الآخر، أعني إلى الرصيف الأيمن، الرصيف ذي الأشجار الوارفة التي تتعانق على طول الشارع، وتابع طريقه وقد فارقته اللهاث، وأمل سراب الماء يتلألأ في عينيه.

القارئ، والتحكّم البالغ في البنية الحكائية للقصة. المجموعة القصصية الثانية «أيام مغلقة» (1999) تعمقت تجربته واتجه بها نحو الأقصوصة والتكثيف لعناصر البناء القصصي أشبه ما يكون بتجربة الكاتب القصصي المصري يحيى الطاهر عبد الله. هذا مع الكثير من الأعمال التي حققها أو شارك فيها مثل تحقيق ديوان عبد المجيد الفاسي سنة 1999، وتحقيق «وادي الجواهر ومجموع المكنون من الذخائر» لعلال الفاسي سنة 2000. إن هذا المسار الناجح على عدة مستويات كان يعد بمستقبل باهر لكاتب مثل سعيد الفاضلي ذي الثقافة المتنوعة والذكاء المتقد والحيوية الفكرية والإبداعية، علاوة على طموحه. لكن في لحظة غامضة جداً وبعيداً عن الرباط مقر عمله وسكنه، وفي الدار البيضاء، تحديداً في أحد فنادقها أمضى يوم الأحد في غرفته يردد على مكالمات أصدقائه ويكاد يمازحهم أحياناً... ليعثر عليه خدّم الفندق صبيحة يوم الاثنين

عبد القادر الحوافي (1965-2014): نوم ننقصه الأطلال

شكل رحيل الشاعر المغربي عبد القادر الحوافي المفاجئ أيضاً صدمة للمشهد الثقافي والإبداعي في المغرب، لأنه وضعنا مباشرة أمام

صادق كويلان الفراجي
«يمكنك أخذ استراحة»
(جبر هندي وفحم وورق
على كانفاس - 2012)

”

عين الأشباح تطاردني
صباح مساء، داخل
عروق أصيلة
المتشابكة في جسد
إيقاع دمه بطيء،
وقلبه له دقائق طبل،
لكن لا أحد يسمع
(كريم حوماري)

أمضى سعيد الفاضلي
يوم الأحد في غرفته
يرد على مكالمات
أصدقائه ويمازحهم
أحياناً، ليعثر عليه خدّم
الفندق صبيحة يوم
الاثنين منتحراً

“

القارئ، والتحكّم البالغ في البنية الحكائية للقصة. المجموعة القصصية الثانية «أيام مغلقة» (1999) تعمقت تجربته واتجه بها نحو الأقصوصة والتكثيف لعناصر البناء القصصي أشبه ما يكون بتجربة الكاتب القصصي المصري يحيى الطاهر عبد الله. هذا مع الكثير من الأعمال التي حققها أو شارك فيها مثل تحقيق ديوان عبد المجيد الفاسي سنة 1999، وتحقيق «وادي الجواهر ومجموع المكنون من الذخائر» لعلال الفاسي سنة 2000. إن هذا المسار الناجح على عدة مستويات كان يعد بمستقبل باهر لكاتب مثل سعيد الفاضلي ذي الثقافة المتنوعة والذكاء المتقد والحيوية الفكرية والإبداعية، علاوة على طموحه. لكن في لحظة غامضة جداً وبعيداً عن الرباط مقر عمله وسكنه، وفي الدار البيضاء، تحديداً في أحد فنادقها أمضى يوم الأحد في غرفته يردد على مكالمات أصدقائه ويكاد يمازحهم أحياناً... ليعثر عليه خدّم الفندق صبيحة يوم الاثنين

